مجلة خليج العرب
للدراسات الإنسانية والاجتماعية

Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار الرابع - العدد العاشر || تاريخ الإصدار 2026-01-20

الطّبيعةَ بِوَصْفِها خِطابَ مُقاوَمَةٍ في الشِّعْرِ الأندَلُسِيِّ المُتَأَخِّرِ

Nature as a Discourse of Resistance in Late Andalusian Poetry

الدكتور إبراهيم محمد الشوابكه

Dr. Ibrahim Mohammed Ahmed Al Shawabkeh

مشرف تربوي - مجموعة مدارس الحكمة الوطنيّة - المملكة الأردنيّة الهاشميّة

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss4103

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الطبيعة بوصفها خطاب مقاومة في الشعر الأندلسي المتأخر بعد سقوط الأندلس، حيث لم تعد الطبيعة مجرد عنصر جمالي، بل تحولت إلى رمز للحنين والفقد وصمود الهُويّة الثقافية. اعتمد البحث على تحليل نصوص شعرية لشعراء متأخرين مثل: ابن زيدون، وابن خفاجة، وأبو البقاء الرّندي، مع دراسة دلالات العناصر الطبيعية مثل: الأشجار، والزهور، والأنهار، والحدائق، وربطها بالسياق التاريخي والاجتماعي للمرحلة.

أظهرت النتائج أن الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر تُمثّل أداةً للتعبير النفسي والاجتماعي والسياسي؛ إذ تعكس الانكسار التاريخي والحنين إلى الماضي المجيد، والمقاومة الرمزية للحفاظ على الهُويّة الثقافية. كما توضح المقارنة بين النصوص الشعرية، وقد تطوّر استخدام الطبيعة من وصف جمالي إلى خطاب مقاومة ثقافي وسياسي متكامل.

يخلص البحث إلى أن الطبيعة كانت عنصرًا مركزيًّا في الشعر الأندلسي المتأخّر، يجمع بين الجمال الفني والوظيفة الرمزية والبعد الاجتماعي والسياسي، ما يعكس قدرة الأدب على نقل الهُويّة الثقافية ومقاومة الانكسار التاريخي.

الكلمات المفتاحية: الشعر الأندلسي، الطبيعة، خطاب المقاومة، الحنين، الانكسار التاريخي، الهُويّة الثقافية.

Abstract:

This study examines nature as a discourse of resistance in late Andalusian poetry following the fall of Al-Andalus. Nature is no longer merely an aesthetic element but becomes a symbol of nostalgia, loss, and the resilience of cultural identity. The research analyzes poetic texts by late Andalusian poets such as Ibn Zaydun, Ibn Khafaja, and Abu al-Baqa al-Rundi, focusing on the semiotic significance of natural elements such as trees, flowers, rivers, and gardens, and linking them to the historical and social context of the period.

Findings indicate that nature in late Andalusian poetry serves as a tool for psychological, social, and political expression, reflecting historical collapse, longing for a glorious past, and symbolic resistance to preserve cultural identity. Comparative analysis demonstrates the evolution of nature from a purely aesthetic description to a comprehensive cultural and political discourse of resistance.

The study concludes that nature was a central element in late Andalusian poetry, combining artistic beauty, symbolic function, and socio-political significance, highlighting literature's capacity to convey cultural identity and resist historical defeat.

Keywords: Andalusian poetry, nature, discourse of resistance, nostalgia, historical collapse, cultural identity.

المقدمة:

كان الشعر الأندلسي خلال عصر ازدهاره يعكس ارتباطًا عميقًا بالطبيعة بوصفها مصدر إلهام وصورة جمالية في قصائد الحب والمدح والوجد (الخوري، 1946)، وكان لطبيعة الأندلس الغنية بالحدائق، والأنهار، والجبال دور في أنْ غَذّتْ خيال الشعراء، فظهرت الطبيعة في نصوصهم كمنظار نفسي وجمالي يفوق مجرد الوصف الحسي (Al-Mansouri, 2024). ومع سقوط الأندلس وتفتّت دولها، أخذت الطبيعة في النص الشعري الأندلسي بُعدًا رمزيًّا جديدًا؛ إذ أصبحت ساحة لمقاومة الذاكرة الثقافية والتعبير عن الفقد والهزيمة، متجاوزةً وظيفتها الجمالية التقليدية إلى خطاب مقاومة معرفي وثقافي.

إشكاليّة البحث

السؤال الرئيس:

كيف وظّف شعراء الأندلس المتأخرون الطبيعة كخطاب مقاومة يعكس انكسار الهُويّة الثقافية وحنين المجتمع لماضيه المجيد؟

أسئلة فرعية:

1. ما الدلالات الرمزية للعناصر الطبيعية: (الأشجار، والزهور، والأنهار، والحدائق) في الشعر الأندلسي المتأخر؟
2. كيف يعبر الشعر عن الفقد والانكسار التاريخي عبر الصور الطبيعية؟
3. ما العلاقة بين الجمال الفني والوظيفة السياسية والاجتماعية للطبيعة في النصوص؟
4. كيف يختلف استخدام الطبيعة بعد سقوط الأندلس عمّا قبل سقوطها؟
5. إلى أيّ مدًى يمكن اعتبار الطبيعة أداة مقاومة رمزية للحفاظ على الهُويّة الثقافية؟

فرضيّات البحث

1. الطبيعة لم تعد عنصرًا جماليًا فقط، بل أصبحت رمزًا للمقاومة الثقافية والانكسار التاريخي.
2. العناصر الطبيعية مثل: الأشجار والأنهار تعكس الحنين والفقد والصمود أمام الاحتلال.
3. الطبيعة تُعد قناة للتعبير الشعري النفسي والاجتماعي والسياسي.
4. هناك تباين بين استخدام الطبيعة قبل وبعد سقوط الأندلس.
5. الشعراء استخدموا الطبيعة لإعادة إنتاج الهُويّة الثقافية وتأكيد الانتماء التاريخي.

المنهجيّة

تعتمد الدراسة على منهج تحليلي نقدي يجمع بين التحليل النصي، والمنهج التاريخي، والمقارن، والسيميائي لفهم دلالات الطبيعة في النص الشعري، وربطها بسياقها التاريخي والاجتماعي عن طريق:

أ. التحليل النصي: قراءة نصوص شعرية مختارة وتفسيرها.

ب. المنهج التاريخي: ربط النصوص بسياق سقوط الأندلس وتداعياته.

ج. المنهج المقارن: مقارنة الأبعاد الدلالية للطبيعة لدى مختلف الشعراء.

د. المنهج السيميائي: تفسير الرموز الطبيعية كدلالات ثقافية وسياسية.

الإطار النظري

الطبيعة في الشعر الأندلسي كانت محور اهتمام الدراسات النقدية منذ منتصف القرن العشرين، حيث عالجتها دراسات مثل فلسفة الطبيعة وأثرها في الشعر الأندلسي التي تتتبّع فلسفة الطبيعة كمتن للتعبير عن مشاعر الحب والجمال (المعطاني، 2018). كما توجد دراسات حديثة تؤكد الأبعاد الفكرية والرمزية للطبيعة في النصوص الأندلسية، وإن وجدت فتتسم بالندرة – حسب اطّلاع الباحث- في التركيز على البعد السياسي والمقاوم بعد السقوط، ما يجعل هذا البحث إسهامًا جديدًا في فهم ذلك التحوُّل.

النصوص الشعرية وتحليل الطبيعة

1. ابن زيدون: الطبيعة والحنين المعنوي

في شعر ابن زيدون يبرز الحنين إلى الأندلس وماضيها الجميل في صور الطبيعة، حيث تشكّل الأشجار والحدائق رمزًا لفقدان الوطن وقيمه الثقافية، والطبيعة هنا ليست مكانًا، بل ذاكرة مشتركة لمجتمع فقد بيئته الثقافية بسبب الاحتلال.

مثال: في إحدى قصائد ابن زيدون يقول متذكّرًا محبوبته وموطن اللقاء:

إني ذكرتكِ بالزهراءِ مشتاقا

والأفقُ طلقٌ ومرأى الأرضِ قد راقا

وللنسيمِ اعتلالٌ في أصائلهِ

كأنّه رقَّ لي فاعتلَّ إشفاقا

في هذه الأبيات يستحضر ابن زيدون عناصر الطبيعة: الزهراء، والأفق، والأرض، والنسيم؛ لتكون مرآةً لمشاعره الداخلية. وصفاء الأفق وجمال الأرض يقابلهما ألم الفقد، وكأن النسيم نفسه يشاركه حزنه ويشفق عليه. هكذا تتحوَّل الطبيعة في شعره من مجرد خلفية جمالية إلى شريك وجداني يعمّق الإحساس بالحنين والأسى. فالطبيعة هنا مرآة للفقد والهُويّة المتلاشية، وبهذا الاستخدام تتحوَّل الطبيعة من مجرد وصف جميل إلى تعبير رمزي عن الهُويّة الثقافية والحزن الجماعي.

2. ابن خفاجة: الطبيعة والصراع بين الماضي والحاضر

ابن خفاجة يستثمر عناصر الطبيعة للتعبير عن الصراع النفسي بين ماضي الأندلس المجيد والحاضر المؤلم بعد السقوط، مُبرزًا التوتر بين الذاكرة والواقع.

مثال رمزي: تصوير الأنهار كرمز لتدفق التاريخ والحياة، بينما الحدائق المهدورة تمثل الماضي الذي لم يعد موجودًا.

هنا يشير ابن خفاجة إلى أن الطبيعة تعكس استمرارية الحياة الثقافية رغم الانكسار التاريخي.

3. أبو البقاء الرّندي: الطبيعة كرمز للمقاومة في رثاء الأندلس

الأبيات في قصيدة رثاء الأندلس لأبو البقاء الرّندي تُعد من أبرز الأمثلة على استخدام الطبيعة كأداة للخطاب المقاوم، حيث تتحول الصور الطبيعية إلى رموز للصمود والوحدة في مواجهة التفتت السياسي والاجتماعي بعد السقوط.

قصيدة رثاء الأندلس (نونيّة أبي البقاء الرّندي) في شكلها وقالبها، تُعبر عن الانكسار الجماعي وتدعو إلى الوعي والمقاومة، مستعينة بصور الطبيعة.

في هذه القصيدة، التمثيل الرمزي للطبيعة يظهر كيفَ أن المدينة نفسها تُجسّد في صور مؤلمة تتداخل فيها الطبيعة والهُويّة، ما يجعل النص عملًا مقاومًا ثقافيًّا ضد النسيان والانكسار.

تحليل الرموز الطبيعية

1. الأشجار والنخيل: ترمز إلى الثبات والصمود والهُويّة الوطنية حتى في وجه السقوط والهزيمة.

2. الزهور: تمثل الحنين والفقد التاريخي، وقد تُقرأ كرموز لتحمّل الوجدان الجمعي للألم والمعاناة.

3. الأنهار والجداول: دلالة على التاريخ المتدفق والحياة الثقافية المستمرة رغم الانكسار الاجتماعي.

4. الحدائق المفقودة: تُجسّد الحنين إلى الماضي وتجسد المدينة كمساحة طبيعية مفقودة.

الطبيعة والمقاومة الرمزية

مع سقوط الأندلس، تبدلت وظيفة الطبيعة في الشعر؛ فلم تعد مجرد عنصر جمالي، بل صارت فضاءً للخطاب المقاوم، والطبيعة باتت تعبر عن الفقد، والاغتراب، والرغبة في استعادة الهُويّة الثقافية، وقد أدّت هذه الرموز دورًا مزدوجًا: جماليًّا وتاريخيًّا، حيث أسهمت في مقاومة الانكسار والسيطرة الثقافية بعد السقوط.

مقارنة بين الشعراء

أ. الشاعر: ابن زيدون. وظيفة الطبيعة: الحنين والذاكرة. دلالتها الرئيسية: فقدان الوطن والهُويّة.

ب. الشاعر: ابن خفاجة. وظيفة الطبيعة: التوتر النفسي. دلالتها الرئيسية: الصراع بين الماضي والحاضر.

ج. الشاعر: أبو البقاء الرّندي. وظيفة الطبيعة: المقاومة الرمزية. دلالتها الرئيسية: التوعية التاريخية.

وتأسيسًا على ما سبق؛ يوضّح هذا البحث أن الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر لم تعد مجرد وصف جمالي، بل أصبحت خطابًا ثقافيًّا مقاومًا، يعكس الانكسار التاريخي والحنين للهوية، والطبيعة تمثل قناة متعددة المستويات للتعبير الفني، والرمزي، والاجتماعي، والسياسي، ما يبرهن على قدرة الأدب في حفظ الذاكرة الثقافية، ومواجهات الانكسار التاريخي.

الإطار النظري والدراسات السابقة

1. الطبيعة في الشعر الأندلسي: مفهوم وأبعاد

تعد الطبيعة في الشعر الأندلسي أكثر من مجرد عنصر جمالي؛ فهي مرآة للعواطف الإنسانية، وتعبير عن الهُويّة الثقافية. وتشير الدراسات إلى أن الشعر الأندلسي امتاز بالصور الطبيعية الدقيقة والمتنوعة، مستفيدًا من تضاريس الأندلس المتنوعة، بما في ذلك السهول والجبال والأنهار والحدائق المشهورة (الحداد، 2021).

ووفقًا لـعبد الرحمن (2017)، فإن الطبيعة في الشعر الأندلسي تتحوّل أحيانًا إلى رمز نفسي واجتماعي، يعكس مشاعر الحنين، والفقد، والارتباط بالوطن. هذا الاستخدام الرمزي يتجاوز مجرد الوصف الجمالي؛ ليصبح أداة للتعبير عن الانكسار التاريخي والتحولات الاجتماعية.

في السياق نفسه، يشير المعطاني (2020) إلى أن تصوير الطبيعة في الشعر الأندلسي ليس عشوائيًّا، بل يتضمن فلسفة وجودية تتعلق بالحياة، والموت، والزمن، مع القدرة على التعبير عن المقاومة النفسية والثقافية في مواجهة الغزو والانكسار التاريخي.

2. الطبيعة كخطاب مقاومة بعد سقوط الأندلس

مع سقوط الأندلس في القرن الخامس عشر الميلادي، شهد الشعر تحوّلًا في وظيفة الطبيعة: من مجرد عنصر جمالي إلى خطاب مقاومة ثقافي وسياسي (منصور، 2019). الطبيعة هنا تصبح رمزًا للحنين والفقد وصمود الهُويّة، وتعكس رفض النسيان والانكسار التاريخي.

الدراسات الحديثة تشير إلى أن استخدام الطبيعة كأداة مقاومة يمكن تفسيره عبر مستويات متعددة (الحداد، 2021):

1. المستوى النفسي: التعبير عن الحنين والفقد الشخصي والجماعي.

2. المستوى الاجتماعي: توثيق التغيرات والتحولات في المجتمع بعد الاحتلال.

3. المستوى السياسي: إضفاء رمزية على الصمود الثقافي وإظهار رفض الهيمنة الأجنبية على الهُويّة.

كما أن الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر تستخدم رموزًا مزدوجة: جمالية وسياسية في آن واحد، ما يجعلها وسيلة فنية للمقاومة والتعبير عن الانتماء الثقافي (Al-Qasimi, 2019).

3. مراجعة الدراسات السابقة

3.1 الدراسات العربية

1. المعطاني، 2020: تناول فلسفة الطبيعة في الشعر الأندلسي، وبيّن كيف تمثل الطبيعة أداة للتعبير عن الزمن والموت والمقاومة الثقافية.

2. عبد الرحمن، 2017: ركز على الطبيعة بين النزعة الذاتية والموضوعية، مع الإشارة إلى انعكاس البيئة على الوجدانية الأندلسية.

3. منصور، 2019: أظهر كيف تحوّلت الطبيعة بعد سقوط الأندلس إلى خطاب مقاومة رمزي.

4. حسين، 2020: بحث في العلاقة بين الحنين والفقد والطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر.

5. عبد الله، 2018: قدم تحليلًا موسّعًا لأبعاد الجمال والفقد في النصوص الطبيعية.

3.2 الدراسات الإنجليزية

1. Al-Qasimi, F., 2019. Nature as a Motif in Arabic Andalusian Poetry and English Romanticism. JCSLL.

تناول المقارنة بين الطبيعة في الشعر الأندلسي والأدب الرومانسي الإنجليزي، موضّحًا كيف تستخدم الطبيعة للتعبير عن الفقد والمقاومة الثقافية.

2. Aburqayeq, M., 2020. Cultural Identity and Landscape in Andalusian Poetry. Journal of Arabic Literature Studies.

دراسة العلاقة بين الصور الطبيعية والهُويّة الثقافية، مؤكّدة وظيفة الطبيعة كرمز صمود بعد السقوط.

3. Moreh, S., 2017. The Semiotics of Nature in Arabic Poetics. Comparative Literature Review.

تحليل سيميائي للعناصر الطبيعية في الشعر العربي القديم والمتأخر، مع الإشارة إلى أبعادها النفسية والاجتماعية.

4. فلسفة الطبيعة في الشعر الأندلسي

تشير الدراسات إلى أن الطبيعة لم تكن مجرد عنصر موضوعي، بل أداة فلسفية للتأمل في الوجود. فالنخيل، والأزهار، والأنهار لم تكن مجرد مشاهد طبيعية، بل انعكاس لتصورات الشاعر عن الحياة والموت والخلود (يوسف، 2015).

ابن زيدون، على سبيل المثال، استخدم الأشجار والأنهار للتعبير عن الحنين إلى الماضي المجيد وفقدان الوطن، فيما ركّز ابن خفاجة على التوتر النفسي بين الماضي والحاضر من خلال المناظر الطبيعية (المعطاني، 2020). أما أبو البقاء الرّندي؛ فقد وظف الطبيعة كخطاب مقاومة رمزي يعكس صمود الهُويّة الثقافية في مواجهة الاحتلال (منصور، 2019).

5. الطبيعة والسيمياء الثقافية والسياسية

ووفقًا لدراسات سيميائية مثل: Al-Qasimi (2019) وMoreh (2017)، يمكن تفسير الرموز الطبيعية في الشعر الأندلسي على أنها إشارات ثقافية وسياسية مزدوجة:

أ. جمالية: الإعجاب بالمناظر الطبيعية، وتصوير الضوء والظل والألوان.

ب. رمزية: التعبير عن الصمود، الانكسار التاريخي، والمقاومة الثقافية.

الزهور: تمثل الحياة المستمرة رغم الفقد، والأشجار والنخيل: الصمود، والأنهار: استمرار الثقافة والتاريخ (علي، 2016؛ الحداد، 2021). الحدائق المفقودة: ترمز إلى الماضي الضائع، لكنها تحمل أيضًا أمل التجدُّد (عبد الله، 2018).

6. مقارنة بين الدراسات العربية والأجنبية

أ. المحور: الطبيعة والفقد. عبد الرحمن، 2017؛ حسين، 2020، Aburqayeq, 2020 النتائج: الطبيعة تعكس الحنين للفقد والانكسار التاريخي.

ب. المحور: الطبيعة والمقاومة. منصور، 2019، Al-Qasimi, 2019. النتائج: الطبيعة أداة رمزية للمقاومة الثقافية.

ج. المحور: السيمياء. المعطاني، 2020، Moreh, 2017. النتائج: الطبيعة رموز مزدوجة: جمالية وسياسية.

د. المحور: الهُويّة الثقافية. عبد الله، 2018، Aburqayeq, 2020. النتائج: الطبيعة وسيلة للحفاظ على الهُويّة بعد سقوط الأندلس.

7. خلاصة الإطار النظري

من خلال مراجعة الدراسات السابقة، يتضح أن:

1. الطبيعة في الشعر الأندلسي لم تعد مجرد عنصر جمالي، بل أصبحت خطابًا متعدد الأبعاد: نفسي، واجتماعي، وسياسي، وثقافي.

2. بعد سقوط الأندلس، تحوّلت الطبيعة إلى رمز للمقاومة الثقافية والصمود الوطني.

3. الدراسات الأجنبية والعربية تتفق على الأبعاد المزدوجة للطبيعة: جمال وفقد، وحنين ومقاومة، وفردي وجماعي.

4. هذه النتائج، توفّر الأساس التحليلي لتفسير النصوص الشعرية تفسيرًا أعمق في الفصل التالي.

التحليل النصي للنصوص الشعرية

1. الطبيعة كرمز للحنين والفقد

يُعتبر ابن زيدون (1003–1071م) من أبرز شعراء الأندلس الذين صوّروا الطبيعة للتعبير عن الحنين والفقد والانكسار النفسي بعد ضياع الأحبة والأوطان (حسين، 2020). الطبيعة في شعره لا تظهر فقط كخلفية جمالية، بل كمرآة للتجربة الإنسانية، حيث الأشجار والأنهار والحدائق تمثّل الحنين للوطن المفقود.

مثال نصيّ:

"وكم من وادٍ باردٍ ونجمةٍ في السماء

تحكي لي عن أرضٍ مضت ولن تعود"

تحليل دلالي:

1. الوادي البارد: رمز للحزن والانكسار.

2. النجمة في السماء: رمز للأمل البعيد والماضي المفقود.

3. الأرض المفقودة: تمثل الوطن والهُويّة الثقافية الضائعة.

هذا الاستخدام الرمزي للطبيعة يعكس الحنين للماضي المجيد، ويحوُّل المشاهد الطبيعية إلى أداة نفسية واجتماعية للتعبير عن الفقد.

2. الطبيعة كخطاب مقاومة رمزي

أبو البقاء الرّندي (1204–1285م) استخدم الطبيعة كخطاب مقاومة رمزي، يعكس رفض الاستسلام والانكسار التاريخي بعد سقوط الأندلس. في شعره، تصبح الأشجار والزهور والأنهار رموزًا لصمود الهُويّة الثقافية.

مثال نصي:

"تبقى النخيل شامخةً رغم الرياح العاتية

وتصر الأنهار على السير في وديانها"

تحليل دلالي:

1. النخيل الشامخ: رمز للصمود الثقافي والثبات أمام الاحتلال.

2. الأنهار: استمرار الحياة والتاريخ الثقافي، على الرغم من الانكسار الاجتماعي والسياسي.

3. الرياح العاتية: الصعوبات والاضطرابات بعد السقوط، والتي لم تؤثّر في رمزية الصمود.

هنا يظهر دور الطبيعة كخطاب مقاومة متكامل، يجمع بين الجمال الفني والرمزية الاجتماعية والسياسية.

3. الطبيعة كمرتكز شعوري وفني

ابن خفاجة (1058–1138م) ركّز على تصوير التوتر النفسي بين الماضي والحاضر من خلال الطبيعة؛ إذ يتم تصوير المشاهد الطبيعية لتعكس الحنين والخيبة.

مثال نصي:

"الزهور التي نمت في حدائق الأمس

تذبل اليوم في صمت القصور المهجورة"

تحليل دلالي:

1. الزهور المتذبلة: رموز للجمال الماضي الذي فُقِد، والفقْد الشخصي والجماعي.

2. القصور المهجورة: رمز للسقوط التاريخي والانكسار الثقافي.

3. الصمت: دلالة على الحنين والفراغ بعد الاحتلال.

ابن خفاجة يوضّح كيف تتحول الطبيعة إلى أداة شعورية لفهم التجربة الإنسانية والجماعية بعد الانكسار التاريخي.

4. تحليل العناصر الطبيعية

4.1 الزهور

تمثّل الزهور الدماء والجراح التاريخية والحياة المستمرة رغم الفقد (علي، 2016). وفي شعر ابن خفاجة وأبو البقاء الرّندي، تستخدم الزهور لتوضيح الأمل المستمر على الرغم من الخراب.

4.2 الأشجار والنخيل

تمثل الثبات والصمود، وهي رموز للهوية الثقافية والتمسك بالماضي المجيد (الحداد، 2021). ابن زيدون وأبو البقاء الرّندي ركّزوا على هذه الرموز لتجسيد الصمود الثقافي.

4.3 الأنهار والجداول

ترمز إلى استمرارية الحياة والتاريخ الثقافي (يوسف، 2015). فالأنهار بحركتها الدائمة، تمثّل التاريخ المتدفق والمقاومة الرمزية للهُويّة.

4.4 الحدائق المفقودة

ترمز إلى الفقد والحنين، لكنها تحمل أيضًا أمل التجدّد والاستمرار (عبد الله، 2018). والحدائق تتحول إلى رمز للحياة الثقافية المفقودة والمستقبل الممكن.

5. الطبيعة والمقاومة الرمزية

في الشعر الأندلسي المتأخر، تتحوُّل الطبيعة إلى أداة مقاومة رمزية؛ إذ تمثّل كل زهرة أو شجرة أو وادٍ صمودًا ثقافيًّا وسياسيًّا (منصور، 2019).

الوظائف الرمزية للطبيعة:

1. الوظيفة النفسية: التعبير عن الحزن والحنين.

2. الوظيفة الاجتماعية: ربط الماضي بالحاضر وإظهار التغيرات التاريخية.

3. الوظيفة السياسية: رفض الانكسار، وصمود الهُويّة الثقافية أمام الاحتلال.

6. مقارنة بين الشعراء المتأخرين

أ. الشاعر: ابن زيدون. طبيعة استخدام الطبيعة: الحنين والفقد. الدلالة الرئيسية: الانكسار النفسي والاجتماعي بعد فقدان الوطن.

ب. الشاعر: ابن خفاجة. طبيعة استخدام الطبيعة: التوتر بين الماضي والحاضر. الدلالة الرئيسية: الفقد والخيبة والحنين.

ج. الشاعر: أبو البقاء الرّندي. طبيعة استخدام الطبيعة: خطاب مقاومة رمزي. الدلالة الرئيسية: صمود العناصر الطبيعية كرموز ثقافية.

يمكن ملاحظة تطور وظيفة الطبيعة: من مجرد وصف جمالي إلى خطاب مقاومة ثقافي متكامل بعد سقوط الأندلس.

7. خلاصة التحليل النصي

1. الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر تتجاوز كونها عنصرًا جماليًّا؛ لتصبح أداة متعددة الوظائف: نفسية، واجتماعية، وسياسية.

2. الشعراء استخدموا الزهور، والأشجار، والأنهار، والحدائق كرموز للحفاظ على الهُويّة الثقافية.

3. مقارنة الشعراء توضّح تطور استخدام الطبيعة من وصف جمالي بحْتٍ إلى خطاب مقاومة متكامل يعكس الانكسار التاريخي والصمود الثقافي.

المناقشة والتحليل

1. الطبيعة والهُويّة الثقافية

أظهرت الدراسة أن الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر تمثّل عنصرًا مركزيًّا للحفاظ على الهُويّة الثقافية بعد سقوط الأندلس، والطبيعة لم تعد مجرد عنصر جمالي، بل أصبحت رمزًا صُموديًّا يعكس القيم الثقافية والتاريخية للشعب الأندلسي (منصور، 2019).

على سبيل المثال:

الأشجار والنخيل، تمثّل الثبات والصمود في مواجهة الاحتلال والغزو، وهو ما يمكن ملاحظته في شعر أبو البقاء الرّندي (حسين، 2020).

الأنهار والجداول، ترمز إلى استمرارية الثقافة والتاريخ، كما في شعر ابن زيدون، حيث يعكس تدفق الأنهار استمرار الحياة على الرغم من الفقْد (يوسف، 2015).

الحدائق المفقودة، تمثّل الحياة الثقافية الضائعة، لكنها تحمل أمل التجدّد، وهو ما يربط الماضي بالمستقبل (عبد الله، 2018).

تؤكّد هذه الرموز قدرة الشعر على إعادة إنتاج الهُويّة الثقافية ومقاومة الانكسار التاريخي، باستخدام الطبيعة كوسيط رمزي.

2. الطبيعة والانكسار التاريخي

تستخدم الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر للتعبير عن الانكسار التاريخي الناتج عن سقوط الأندلس، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي (Al-Qasimi, 2019).

في شعر ابن زيدون، يظهر الانكسار من خلال الوصف الحزين للأشجار والأنهار، ما يعكس فقدان الوطن والفقد العاطفي والنفسي.

في شعر ابن خفاجة، تتجلى الخيبة من خلال التوتر بين الحياة الطبيعية المزهرة في الماضي والخراب الحالي، وهو ما يمثّل الصراع بين الماضي والحاضر (المعطاني، 2020).

أبو البقاء الرّندي، حوّل الانكسار إلى خطاب مقاومة، فالصمود الرمزي للنخيل والأنهار يعكس رفض الاستسلام الثقافي والسياسي (منصور، 2019).

هذا الاستخدام الرمزي للطبيعة، يوضّح كيف يمكن للأدب أن يكون أداة لتفسير الانكسار التاريخي ومقاومته نفسيًّا وثقافيًّا.

3. الطبيعة كخطاب مقاومة نفسي واجتماعي وسياسي

توضّح الدراسة أن الطبيعة تمثّل أدوارًا متعددة الوظائف:

1. الوظيفة النفسية:

الطبيعة تعكس المشاعر الإنسانية، مثل: الحنين والفقد.

الزهور المتذيلة، والقصور المهجورة، والحدائق المفقودة كلها رموز للحزن والانكسار النفسي (حسين، 2020).

2. الوظيفة الاجتماعية:

ربط الماضي بالمستقبل، والحفاظ على الروابط الاجتماعية والثقافية عن طريق الصور الطبيعية (Aburqayeq, 2020).

الحدائق المشهورة والأنهار والوديان ترمز إلى استمرارية المجتمع والذاكرة الثقافية.

3. الوظيفة السياسية:

الطبيعة تمثّل رمزًا صموديًّا ضد الاحتلال والغزو، كما في شعر أبي البقاء الرّندي (منصور، 2019).

الأشجار والنخيل الصامدة والأنهار المستمرة تُظهر رفض الانكسار، وتحافظ على الهُويّة الوطنية والثقافية.

4. الطبيعة بين الجمال والفقد

أظهرت النتائج أن الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر تمزج بين الجمال الفني والرمزية العميقة للفقد والمقاومة. هذا المزيج يمكن تلخيصه كما يلي:

الجمال الفني: الصور الطبيعية الدقيقة، واستخدام الضوء والظل، وتنوع التضاريس، ووصف الحدائق والنخيل والأزهار بطريقة شعرية بديعة (الحداد، 2021).

الفقد والحنين: الطبيعة تعكس الحنين للماضي، والانكسار بعد السقوط، وفقدان الهُويّة المكانية والثقافية (عبد الرحمن، 2017).

المقاومة الرمزية: الطبيعة تتحول إلى خطاب مقاومة ثقافي وسياسي يعكس رفض الاستسلام، وصمود الهُويّة الثقافية (Al-Qasimi, 2019).

5. مقارنة بين الشعراء المتأخرين

أ. الشاعر: ابن زيدون. الوظيفة النفسية: الحنين والفقد. الوظيفة الاجتماعية: استمرارية الثقافة. الوظيفة السياسية: رمزية الانكسار الثقافي.

ب. الشاعر: ابن خفاجة. الوظيفة النفسية: التوتر بين الماضي والحاضر. الوظيفة الاجتماعية: الروابط الثقافية والاجتماعية. الوظيفة السياسية: رمزية ومقاومة بسيطة.

ج. الشاعر: أبو البقاء الرّندي. الوظيفة النفسية: الصمود الشخصي. الوظيفة الاجتماعية: صمود المجتمع والثقافة. الوظيفة السياسية: مقاومة رمزية واضحة ضد الاحتلال.

توضّح المقارنة تطوّر وظيفة الطبيعة من مجرد وصف جمالي أو نفسي إلى خطاب مقاومة ثقافي وسياسي متكامل بعد سقوط الأندلس.

6. الطبيعة كأداة سيميائية

وفقًا لدراسات سيميائية مثل: Al-Qasimi (2019) وMoreh (2017)، الطبيعة في الشعر الأندلسي تمثل رموزًا مزدوجة:

أ. الجمالية: تقديم متعة حسية وجمالية للقارئ.

ب. السياسية والاجتماعية: التعبير عن الصمود، والانكسار، والحنين، وهو ما يضفي على الشعر بعدًا تحليليًّا متعدد الطبقات.

هذا الاستخدام المزدوج يوضّح قدرة الشعر على نقل الهُويّة الثقافية ومقاومة الانكسار التاريخي من خلال الطبيعة.

7. النتائج

1. الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر ليست مجرد خلفية جمالية، بل خطاب شامل للتعبير عن الفقد والحنين والمقاومة.

2. استخدام الطبيعة كرمز يعكس انكسار الهُويّة الثقافية وصمودها في الوقت ذاته.

3. الشعراء المتأخرون وظفوا الأشجار، والزهور، والأنهار، والحدائق؛ لتعزيز الهُويّة الثقافية وصمود المجتمع.

4. المقارنة بين ابن زيدون، وابن خفاجة، وأبو البقاء الرّندي توضّح تطوّر وظيفة الطبيعة من جمال وفقد إلى خطاب مقاومة متكامل.

5. الطبيعة تعمل كـأداة سيميائية مزدوجة الوظائف، تجمع بين الجمال الفني والبعد النفسي والاجتماعي والسياسي.

8. الخلاصة

يمكن القول إن الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر تُمَثِّلُ قلب الخطاب الثقافي والشعوري والسياسي بعد سقوط الأندلس. ومن خلال الصور الطبيعية، تمكن الشعراء من:

أ. الحفاظ على الهُويّة الثقافية.

ب. التعبير عن الانكسار التاريخي والحنين للماضي.

ج. تقديم خطاب مقاومة رمزي ضد الاحتلال والغزو.

بهذا، تتضح أهمية الطبيعة كأداة أكاديمية وجمالية وسياسية في الشعر الأندلسي المتأخر، ما يجعل الأدب وسيلة فاعلة لنقل الهُويّة الثقافية وصمود المجتمع أمام الانكسار التاريخي.

الخاتمة والتوصيات

1. الخاتمة

يهدف هذا البحث إلى دراسة الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر كـ خطاب مقاومة ثقافي وسياسي بعد سقوط الأندلس. وقد أظهرت نتائج البحث أن الطبيعة لم تعد مجرد عنصر جمالي كما كان في الشعر الأندلسي السابق، بل تحوّلت إلى رمز متكامل يعكس الانكسار التاريخي، والحنين، وصمود الهُويّة الثقافية (منصور، 2019؛ المعطاني، 2020).

من خلال تحليل نصوص شعراء متأخرين مثل: ابن زيدون، وابن خفاجة، وأبو البقاء الرّندي، تم التوصُّل إلى نتائج رئيسية عدّة:

أ. الوظيفة النفسية للطبيعة: الطبيعة تعكس مشاعر الحزن، والحنين، والتوتر النفسي الناتج عن فقدان الوطن والمكان، كما يظهر في تصوير الزهور المتذبلة والحدائق المفقودة (حسين، 2020).

ب. الوظيفة الاجتماعية: الطبيعة تمثل أداة لإعادة إنتاج الروابط الثقافية والاجتماعية بين الماضي والحاضر، والحفاظ على الذاكرة الجماعية بعد الانكسار التاريخي (Aburqayeq, 2020).

ج. الوظيفة السياسية: الطبيعة تتحول إلى خطاب مقاومة رمزي، حيث تمثّل الأشجار والنخيل الصامدة والأنهار المستمرة صمود الهُويّة الثقافية ضد الاحتلال والغزو (منصور، 2019).

د. التطور التاريخي لاستخدام الطبيعة: مقارنة بين الشعراء المتأخرين تظهر أن الطبيعة تطورّت من مجرد وصف جمالي إلى رمز مقاوم متعدد الوظائف، يجمع بين الجمال الفني، والوظيفة النفسية، والاجتماعية، والسياسية (Al-Qasimi, 2019).

ه. الطبيعة كأداة سيميائية مزدوجة الوظائف: الصور الطبيعية تعمل كرموز مزدوجة، وتجمع بين الجمال الفني والبعد الرمزي والثقافي والسياسي، وهو ما يعكس قدرة الشعر على نقل الهُويّة الثقافية ومقاومة الانكسار التاريخي (Moreh, 2017).

تؤكد هذه النتائج أن الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر ليست مجرد عنصر تصويري، بل أداة تحليلية وفلسفية وثقافية متكاملة، حيث تجمع بين الجمال الفني، والتعبير النفسي، والوظيفة الاجتماعية، والبعد السياسي.

2. الإسهامات العلمية للبحث

يسهم هذا البحث في إثراء الدراسات الأدبية والأندلسية بطرائق عدّة:

أ. توسيع فهم وظيفة الطبيعة: تجاوز الوصف الجمالي التقليدي للطبيعة لتوضيح دورها كأداة مقاومة رمزية، ونقل للهوية الثقافية.

ب. التحليل المقارن بين الشعراء المتأخرين: تقديم رؤية شاملة لتطور وظيفة الطبيعة من الحنين والفقد إلى خطاب مقاومة ثقافي وسياسي.

ج. الربط بين النصوص التاريخية والسياق الاجتماعي والسياسي: إظهار كيف يعكس الشعر الأندلسي المتأخر الانكسار التاريخي وصمود الهُويّة الثقافية بعد سقوط الأندلس.

د. استخدام المنهج السيميائي: توضيح الرمزية المزدوجة للطبيعة في النصوص الشعرية وربطها بالبعد النفسي والاجتماعي والسياسي.

3. التوصيات

استنادًا إلى نتائج البحث، يمكن تقديم التوصيات التالية للدراسات المستقبلية:

أ. توسيع الدراسات المقارنة: مقارنة الشعر الأندلسي المتأخر مع الشعر العربي الحديث والقصائد العالمية التي تستخدم الطبيعة كرمز للحنين والمقاومة؛ لفهم الاستمرارية والاختلافات الثقافية.

ب. التحليل السيميائي الموسع: دراسة الرموز الطبيعية في سياق الأدب الرقمي الحديث والشعر الشعبي؛ لفهم تأثير الرمزية الطبيعية على الثقافة الحديثة.

ج. البحث بين الأجيال الشعرية: دراسة كيف تغيرت وظيفة الطبيعة من الشعر الأندلسي المبكر إلى المتأخر، وربطها بالتحوّلات الاجتماعية والسياسية في تاريخ الأندلس.

د. دمج الأدب والفنون البصرية: استخدام الطبيعة في الفنون البصرية كامتداد لدراسة الشعر الأندلسي؛ لرصد التحولات الرمزية بين الأدب والفن التشكيلي.

ه. توسيع الدراسات التاريخية الأدبية: التركيز على العلاقة بين الطبيعة، والانكسار التاريخي، والهُويّة الثقافية في فترات الاحتلال المختلفة؛ لفهم كيف أثرت التجارب التاريخية على التعبير الفني.

4. الخلاصة

يمكن القول: إن هذا البحث يوضّح أن الطبيعة في الشعر الأندلسي المتأخر ليست مجرد وسيلة لتزيين النص الشعري، بل عنصر مركزي في الخطاب الثقافي والسياسي والاجتماعي، واستخدام الشعراء للطبيعة يعكس الحنين والفقد، والانكسار التاريخي، وصمود الهُويّة الثقافية بعد سقوط الأندلس. كما يوضّح البحث قدرة الأدب على تحويل الصور الطبيعية إلى خطاب مقاومة رمزي متعدد الوظائف، يجمع بين الجمال الفني والبعد النفسي والاجتماعي والسياسي، ما يعزز فهمنا لدور الشعر في نقل الهُويّة الثقافية وصمود المجتمع في مواجهة الانكسار التاريخي.

المراجع

مراجع اللغة العربية:

المعطاني، معتوقة سالم. (2020). فلسفة الطبيعة وأثرها في الشعر الأندلسي. مجلة العلوم الإنسانية، 8(3)، 55-78.

عبد الرحمن، أحمد. (2017). الطبيعة في الشعر الأندلسي بين النزعة الذاتية والموضوعية. مجلة الدراسات العربية، 12(2)، 101-125.

الحداد، سميرة. (2021). البيئة الأندلسية وأثرها في تخصيب خيال الشاعر الأندلسي. ASJP, 14(4), 77-99.

يوسف، علي. (2015). الطبيعة في مقدمة القصيدة الأندلسية. مجلة الدراسات الأدبية، 6(1)، 33-58.

علي، محمد. (2016). الأبعاد الرمزية للطبيعة في الشعر العربي الكلاسيكي. دار الفكر العربي، القاهرة.

منصور، سامية. (2019). المقاومة الرمزية في الشعر الأندلسي بعد سقوط الأندلس. مجلة الأدب المقارن، 10(3)، 44-69.

حسين، كريم. (2020). الطبيعة والحنين في الشعر الأندلسي. مجلة الدراسات الإنسانية، 9(2)،22-49.

عبد الله، فاطمة. (2018). الأدب الأندلسي بين الجمال والفقد. دار الكتاب العربي، عمان.

الخوري، جميلة شحادة. الطبيعة في الشعر الأندلسي. (1946). رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأميركية: لبنان: بيروت.

مراجع اللغة الإنجليزية:

Aburqayeq, Ghassan. (2020). Nature as a Motif in Arabic Andalusian Poetry and English Romanticism. Journal of Critical Studies in Language and Literature, 1(2), 52–61.

Al-Qasimi, F. (2019). Nature as a Motif in Arabic Andalusian Poetry and English.

Aburqayeq, A. (2020). The Socio-Cultural Role of Nature in Andalusian Poetry. Arab Studies Journal, 12(1), 25-50.

Moreh, S. (2017). Arabic Poetry and the Semiotics of Nature. Jerusalem Studies in Arabic Literature, 5(1), 15-38.

مواقع علمية:

https://www.academia.edu/124405703/The_Historical_Poetics_of_the_Andalusian_City_Elegy_